(ثنائية الشيب والشباب عند ابن حمديس الصقلي)

دراسة وصفية تحليلية

الدكتورة

أمل محسن سالم العميري

قسم الأدب بكلية اللغة العربية

جامعة أم القري

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص البحث)

يدرس هذا البحث أثر فاعلية ثنائية الشيب والشباب على الشاعر الأندلسي ابن حمديس إذ لوحظ وفرة النصوص التي تتحدث عن هذه الثنائية وارتباطها - في أغلبها- في شعره.

وقد جاء البحث على قسمين ، قسم نظري وهو موضوع المبحث الأول، وقسم تطبيقي وهو موضوع المبحث الثاني يسبقهما مقدمة، تحدثت في هذه المقدمة عن مفردتي الشيب والشباب ووجودهما في شعرنا العربي القديم ، والتفات كثير من الشعراء إليهما، وقد كان لكل شاعر رؤيته وفلسفته الخاصة في تناول هاتين المفردتين سواء جاءت منفردتين أم في ثنائية متحدة في نص واحد.

المبحث الأول: تناول دلالات الشاعر ابن حمديس في استحضاره لثنائية الشيب والشباب ، وإن جاء الحديث عن مفردة واحدة دون الأخرى؛ فإن الثانية كانت حاضرة في حديث خفي بالمقابل .

كما بين البحث تعدد دلالات ثنائية الشيب والشباب عند ابن حمديس مما يعطي إشارة إلى حضورها عند الشاعر وانعكاسها على نفسه ومن ثم على شعره.

المبحث الثاني: وقد تناول هذا المبحث في قراءة متأملة، متأنية إحدى قصائد ابن حمديس وقد عنونتها ب" وقفة على أعتاب الزمن"

إذ كان مدار الحديث فيها عن ثنائية الشيب والشباب، مع بيان أثر هذه الثنائية على شعر الشاعر وقد ظهرت بوضوح في تلاحم النص بعضه ببعض ، وعلاقة مطلعه بمقصده في صورة متناغمة كشفت أحاسيس الشاعر وآلمه وحسرته تجاه رحيل الشباب عنه وأفول نجمه ، وقدوم المشيب عليه الذي حرمه وفوته الكثير من صيد الحسنوات من النساء.

هذا وقد وقع اختياري على هذا النص لما لمسته من بروز لثنائية الشيب والشباب، ولما في النص من دلالات واضحة على رؤية الشاعر ابن حمديس لهذه الثنائية وموقفه منها،مستعينة بالمنهج الوصفي التحليلي.

مقدمة :

يلعب الزمن دوره الفاعل في التحول والتغيير في تكوين الإنسان، وفي تطورات نموه،إذ يبدأ الإنسان مرحلته العمرية رضيعا ثم طفلا ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب ثم الى مرحلة الشيخوخة والهرم والعجز،وقد صور القرآن الكريم المراحل العمرية إذ قال المولى عز وجل في كتابه الكريم : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" الروم: ٥٤" ولأن لمرحلتي الشباب والشيب أثرهما في النفس الإنسانية وجدنا كثيرا من الشعراء منذ القدم يصورون وقعهما عليهم،ولا غرابة في ذلك فالشباب مرحلة عمرية تغري الإنسان بحب البقاء والتمتع بملذات الدنيا، و(الشيب تحول زمني أكثر عنفا وقسوة ونفيا للإنسان)(١)ويرى ابن الأثير في حديثه عن الشيب أن (الشيب إعدام للإيسار، وظلام للأنوار، وهو الموت الأول الذي يصلى نارا من الهم أشد وقودا من النار، ولئن قال قوم إنه جلالة فإنهم دقوا به وما جلوا، وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا، وما أراه إلا محراثا للعمر، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا. ومن عجيب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بعده، والخلق الذي يكره نزع برده، ولما فقد الشباب كان عوضا، ولا عوض عنه في فقده)(٢).

وإذا ما استعرضنا الشعر العربي القديم نجد كما هائلا من أحاديث الشعراء عن هذه الثنائية المتضادة التي شكلت هاجساً نفسيا عند كثير

ممن تحدثوا عنها ويمكننا أن نشير إلى بعض الشواهد الشعرية القديمة التي رصد فيها الشعراء أثر هذه الثنائية عليهم،فمن ذلك ما نقرأه للشاعر أوس بن حجر وهو يصور نفور محبوبته منه وتنكرها له ولحبه أثر تقدم عمره،وتفشي الشيب في رأسه : (٣)

تنكرتْ منا بعد معرفةٍ لمي وبعد التصابي والشبابِ المكرمِ

كما أدرك الشاعر العربي قيمة الشباب وأثره الجمالي في النفس فتحسر على ذهابه بعد أن وخط الشيب رأسه وفاته حظه ،ومن ذلك مانسمعه من قول ابن الرومي :(٤)

أيا بـــرد الشبابِ لكنت عندي من الحسناتِ الرغابِ

وقال الإمام الشافعي مؤكدا على ذلك: (٥)

وعزةُ عمر المرءِ قبلَ مشيبهِ وقد فنيتْ نفسٌ تولى شبابُها

إذا أصفرَ لونُ المرءِ وأبيض شعرُهُ تنغص من أيامه مستطابُها

وعلى جمال الشباب ورونقه يبكي المتنبي على ماسيؤول إليه من فقدان الشباب فنسمعه يقول : (٦)

ولقدْ بكيتُ على الشَّبابِ ولمتي مسودةٌ ولماء وجهي رونقُ

وكم من الشعراء من تمنى عودة الشباب بعد أن توسط دائرة المشيب،فنرى أداة التمني وقد أخذت موقعها من نصه ليعبر بها عن

رغبتـه المدفونـة فـي عودة عهـد الشـباب وعهـد الجمـال،ولكن هيهـات، ومن ذلك مانجده في قول أبي العتاهية: (٧)

ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يـوماً فأخبره بما صنعَ المشيبُ

وإذا كان بعض الشعراء قد بكى مضـي الشباب وتوليـه وانقضـاض الشيب عليه وكأن الموت قد حل به؛ فإنا نـرى فـي الوجهـة المقابلـة من يمجـد الشـيب ويـرى فيـه نـواحي جماليـة خلافـا لمـن يـرى فيـه القـبح والعتمة، وأرى أن من تبنى هذه الرؤية قد ملئت نفسه بالرضى بـالواقع الذي لاسبيل إلى تغييره، ورأى إيجابيـات هذه المرحلـة التـي نظر اليهـا من زاوية أخرى أكثر تفاؤلية وأكثر إشراقة وأكثر سلما مع النفس ومع الشيب فكأن بي أرى مثل هؤلاء الشعراء وقد حل الشيب بهم فارتـأوا أن يتصالحوا معه بدلاً من أن ينفروا منـه ويناصبوه الكراهيـة ،إذ فـي ذلـك مصـلحة لهـم ولهـدوء نفسـياتهم، ومـن هـؤلاء الشـعراء الشـاعر دعبـل الخزاعي الذي قال: (٨)

إن المشيبَ رداءُ الحلمِ والأدبِ كما الشبابُ رداءُ اللهو واللعبِ

فما أجمل هذه الحكمة من الشاعر دعبل!إنهـا نظـرة الشـخص العاقـل الحكيم الذي ينظر للأمور بمنظار التعقل والاتزان والتسليم لقدرة الخـالق الديان.

وهكذا نرى أن ثنائية الشيب والشباب قد أخذت موقعها من الشعر العربي، إما مدحا أو ذما أو بكاء أو تحسرا وفي كل ذلك مظهر من مظاهر وعي ذلك الشاعر بالتحول الزمني، وبالانقلاب الحياتي.

وهذه الثنائية التي بين الشيب والشباب ليست قاصرة على الشاعر العربي القديم إنما

نراها تمتد بامتداد الشعر والشعراء إلى وقتنا الحاضر، فعامل الزمن عامل ذو أثر فاعل في كثير من نصوص شعرائنا ولا نكاد نجد شاعرا قد تقدم به العمر – فيما أتصور- إلا وأشار إلى ذلك التحول وأبان عن رؤيته حوله، ويختلف مستوى الحديث عن هذه الثنائية بين مكثر ومقل.

والشاعر ابن حمديس الصقلي- من شعراء الأدب الأندلسي- من الشعراء الذين تاثروا بعامل الزمن ،و تقدم العمر إذا بلغ من عمره(٨٠) سنة(٩) ولا شك أن هذا العمر الطويل وهذا الامتداد الزمني يورث عند الكثيرين شيئا من السأم والضجر، وقد شعر بذلك من قبل الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى فقال في معلقته: (١٠)

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعشْ ثمانين حولاً، لا أبا لك يسأمِ

هذا وقد (فقد ابن حمديس في هذا الدور الطويل من حياته أشياء كثيرة؛ فقد شبابه، واتخذ العصا ليهش بها على الأعوام، وكان شديد الأحساس بمر السنين، ثم فقد بصره)(١١) .

وبالنظر في شعر ابن حمديس، وبالبحث عن نصوصه المتعلقة بالموضوع المنعقد البحث عنه يتكشف لنا أن ثنائية الشيب والشباب عند الشاعر كانت من الموضوعات الحاضرة التي لايمكن إغفالها أو غض الطرف عنها؛ إذ إن عدد النصوص في شعره ليست بالعدد القليل مما يعطي لمحة إلى أهمية هذا الموضوع بالنسبة للشاعر، وإن كان أغلب هذه النصوص مبثوثة في ثنايا أغراض أخرى إلا أنها تشكل حضورا في ذهن المتلقي وقارئ نصوص الشاعر، وقد يثير تساؤلات عنده- أي المتلقي- ما سبب اهتمام الشاعر بهذه الثنائية؟ وكيف كانت نظرة الشاعر لهذه الثنائية؟ وما رؤيته الفلسفية لهما؟وما مدى وعيه بعامل الزمن وأثره في التحول والتغير؟ وما مدى قناعته أو رفضه لهذا التحول؟وما دلالات استحضار هذه الثنائية في نصوصه؟ كل هذا أو ذاك هو ما سيحاول البحث الحديث عنه والإشارة إليه من خلال القراءة المتأنية لنصوصه في الشيب والشباب ، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

وعلى هذا سيقع البحث في مبحثين، أولهما: دلالات ثنائية الشيب والشباب، وثانيهما: قراءة في إحدى قصائد ابن حمديس عن ثنائية الشيب والشباب.

المبحث الأول: (دلالات ثنائية الشيب والشباب).

حين نتأمل نصوص ابن حمديس – فيما يخص موضوعنا- نرى أن الشيب والشباب كانا مترابطين في كثير من النصوص، ونادرا ما نجد أحدهما قد انفرد بالحديث عن الآخر مما يعني أن لهذا الارتباط لهذه الثنائية دلالات عند الشاعر،فما هي هذه الدلالات يا ترى؟

أولا: دلالات ترتبط بالغزل والنساء:

لا شك أن ابن حمديس مثل غيره من بقية الشعراء الذين تقدم بهم العمر، فشعروا بوطأة الزمن عليهم ، وأدركوا أن ما مضى من رحلة الشباب لن تعود إلا في مخيلتهم الشعرية لذلك يسعون دائما لاستحضار هذه الصورة ربما لانها تبعث في نفوسهم النشوة والارتياح كما قد تشعرهم بلذة الحياة ،وشاعرنا ابن حمديس كثيراً ما يستحضر هذه الثنائية في معرض حديثه عن الحب والغزل واللهو مع النساء، وكيف أن النساء قد جفونه وابتعدن عنه حينما علا الشيب رأسه وانسلخ عنه رداء شبابه، ومن ذلك ما نقرأه له من قوله: (١٢) (من الكامل)

كيفَ السبيلُ إلى لقاء غريرة ... تلقى ابتسامَ الشيب بالتقطيبِ

من أين أرجو أن أفوز بسلمِها ... والحربُ بين شبابها ومشيبي

ما حب شمس عنك تغربُ في الفلا ... من أنجم طلعتْ بغير غروبِ

فصورة التقطيب التي تقابل بها تلك الفتاة ابتسام ذلك الشيب هي تعبير واضح بل صارخ لواقع الرفض الذي شعر به الشاعر من قبل تلك الغريرة، ومما يزيد هذا الواقع المرفوض حوار الفتاة مع منشد أبيات الشاعر الذي يعبر به البيتان التاليان فيما بعد الأبيات السابقة:

قالتْ لمنشدها نسيبي: مالـه؟ ليـس النسيب لمثله بنسيبِ؟

فإلام ينـشدني تغزلَ شاعر ما كـــان أولاه بوعظِ خطيبِ؟

إنها صفعة قوية توجهها الفتاة لذلك الشاعرالذي وخطه الشيب.

وفي صورة مؤلمة لرفض النساء للشاعر بعد تقدمه في العمر، قوله:(١٣) (من الرمل)

غيرتـه غير الدهر فشابَ ورمتـه كل خـــود باجتنابِ

فغدا عند الغواني ساقطا كسقـوط الصفر من عد الحسابِ

وتولى عنـه شيطانُ الصبا اذ رماه الشيب رجما بشهابِ

إن كل شيء قد صار ضد الشاعر كالخود ، والغواني، وشيطان الصبا كلها قد ابتعدت عنه ونفرت من مشيبه فالخود قد رمته باجتنابه والغواني قد اسقطنه من قائمتهن فلا أهمية له عندهن كسقوط الصفر من قائمة العد الحسابي، وشيطان الصبا قد ولى من غير عودة، ومما يلفت النظر قول الشاعر (غيرته غير الدهر فشاب) فهذا الشطر من البيت يوحي بإدراك الشاعر وإحساسه بفاعلية الزمن وأثره في التحول

والانقلاب عليه وعلى من حوله فالتغير هو مكمن ألم الشاعر ومكمن قصيده وأن هذا التغير ليس بيده وإنما هو غالب على أمره قد فرضه الدهر بأحواله وأحداثه المتغيرة، وهو من سنن الكون التي لايد للخلق فيها.

ويتحسر في موضع أخر على فقدان الشّباب لأنّ مبلغ الشيب أفقده صيد الحسان وحبهن فيقول (١٤) (من المتقارب):

وجدتُ النوى إذ فقدتُ الشبابَ فياليتني لم أكُنْ فاقِدَهْ

فصرتُ أحاولُ صيدَ الحسانِ وأتْعبُ فيه بلا فائده

وحالُ أثافِيك مختلفةٌ إذا ما عَدمتَ لها واحده

وفي صورة أخرى يصور نفور الحسان منه بصورة نفور الجآذر الخنس من نظرة الأسد الهصور بعد أن بلغ الخامسة والخمسين من عمره فيقول (١٥) (من الكامل)

كملتْ لي الخمسون والخمسُ ووقعتُ في مرض له نكْسُ

ووجدتُ بالأضداد في جسدي غصن يلين وقامةٌ

تقْسُوتنافرتْ عني الحسان كما لحظ الهصور جآذرٌ خُنْسُ

ويؤكد على حقيقة كره النساء له بعد مشيبه فيقول (١٦)(من البسيط)

لو أنَّ ربع شبابي غير منـدرس مابتُّ أوحش من جورالمها الأنس

وابن حمديس في ذلك كله يؤكد لنا تلك الحقيقة التي وصل إليها كثير من الشعراء فيمن لمسوا نفور النساء من الرجل الأشيب ، وماقول أبي العتاهيه عنا ببعيد إذ نسمعه يقول في ذلك :(١٧)

إنَّ الشبابَ لنافقٌ عند النسا واللمشيب من النساء حبيبُ

وهذا واقع لامسه عدد كبير من الشعراء الذين كانت لهم صولات وجولات مع النساء إبان عهد الشباب ، ومن وجد امرأة تتغنى بمشيبه وترغب في قربه فإن ذلك يكون عنده مدعاة للشك في مشاعرها وأنها تريد خداعه إذ من غير المعقول في ظنه أن تقبل الفتاة الكاعب حب رجل بلغ العمر به مبلغه وكان على قاب قوسين أو أدنى من مفارقة الحياة وقد أكد لنا هذا المعنى الشاعر الأندلسي يحيى الغزال بقوله (١٨)

قالت أحبك قلت كاذبة ،غر بذا من ليس ينتقد

هذا كلام لست أقبله الشيخ ليس يحبه أحد

كما أقر ابن حمديس بهذه الحقيقة حين قال (١٩)

فلا تهو الفتاةَ وأنت شيخٌ فأبعد وصلها من صيد عنقا

ثانياً: دلالات ترتبط بالزهد :

باستقراء نصوص ابن حمديس نجد أن ثنائية الشيب والشباب قد أخذت موقعها في غرض الزهد ، بل نجد أن الباعث – غالبا- على زهدياته هو تقدمه في العمر والشعور بدنو الأجل فقد (عاد إلى حظيرة التدين ومضى أيضا "سالكا سبل آبائه" كما مضى أبوه، وراتفعت روح التدين عنده مع انحطاط العمر) . (٢٠)

فيرى الشاعر أن تفشي الشيب في رأسه ما هو إلا نذير بنهايته الحياتية، لذلك يجب عليه أن يتعظ به ويؤوب إلى ربه، ويغتنم ما بقي من ساعاته في عمل الصالحات، فالموت قريب قريب فقال: (٢١) (من المتقارب)

وُعِظتَ بلمتك الشائبهْ ... وفقد شبيبتك الذاهبهْ

وسبعينَ عاما ترى شمسها ... بعينك طالعةً غاربهْ

فويحك هل عَبَرَتْ ساعةٌ ... ونفسُك عن زلةٍ راغبه

فرغتَ لصنعك ما لا ... يقيكَكأنك عاملة ناصبه

وغرَّتك دنياك إذ فوّضت ... إليك أمانيها الكاذبه

أصاحبةً خلتها ؟ إنها ... بأحداثها بئست الصاحبه

أما سلِبتْ منك بُرْدَ الشباب؟ ... فهل يُسْتَردّ من السالبه ؟

وهكذا يمضي ابن حمديس في وعظ نفسه ووعظ كل من هو على شاكلتهم ممن تقدم به العمر وزاره الشيب من نظرائه منذرا ومحذرا من جرس الموت الذي قد يدق عليه في أية لحظة خاصة وأنه- أي الشاعر- قد بلغ السبعين من عمره،فإلى متى الركون إلى الدنيا والاغترار بها وبأمانيها الكاذبة وزخارفها الخادعة؟ إننا لو تأملنا أحداثها لوجدناها (بأحداثها بئست الصاحبة) ؟ فيكفي إنها سلبت منا برد الشباب وكستنا المشيب (فهل يسترد من السالبة) إنها جملة من الصفات القبيحة ألصقها الشاعر بهذه الدنيا للتنفير منها ومن الوثوق بها فغدت الدنيا في نظره مكروهة بعد أن كانت محبوبة في شبابه وكل ذلك كان بسبب عامل الزمن الذي أحدث تغيراته الخارجية التي بدورها انعكست على دواخل الشاعر النفسية فكان هذا الموقف المعادي للدنيا، ولا شك أن الدنيا متاع الغرور.

وفي موضع أخر نسمع قوله واعظا نفسه وممن على حاله ممن غرتهم الدنيا ولعبت بأهوائهم حتى طال بهم العمر ومضى شبابهم دون أن يعمروا أيامهم بالأعمال الصالحة، ويتزودوا لآخرتهم، فقال : (٢٢)(من الطويل)

خلَتْ منك أيامُ الشبيبة فأَعمرْهَا ... وماتتْ لياليها من العمر فانشرْهَا

وهذا لعمري كلّه غيـــــر كائن ... فأخراك واصلها ودنياك فاهْجُرْهَا

أرى لك نفسًا في هواك مقيـمةً ... وقد طال ذا منها،لك الويل،فاقصرها

وكم سـيئات أحصيت فـنسيتها وأنـت متى تقـرأ كتابك تذكـرها

فيــارب أني في الخضوع لقائل: ذنـوبي عيوبي يوم ألـقاك فاسـترْهَا

فالموعظـة فـي الأبيـات السـابقة تـدور حـول أن الشـيب نــاقوس المـوت، وعلـى المـرء الـذي أصـابه الشـيب وبلــغ مـن العمـر عتيـا أن يستفيق من غفلتـه ويؤوب إلـى ربـه ، ويجتـهد فيمـا بقـي ، ويستغل مـا بقي من عمره في كسب الطاعات ونيل الحسنات.

ونقرأ لـه في موضع أخر يرجو رحمة ربه ويبث خوفـه من عقابـه بعد أن بلغ الستين من عمره، ولم يوقظـه مـن غفلتـه إلا شمس المشيب الحارقة التي أخذته من ظل الشباب الفاني فقال: (٢٣) (من الطويل)

فعوّضتُ شيباً من شبابي كأنّـني تولَّيتُ عن ظلٍّ برغمي إلى الشمسِ

وقَطْعي بعيشٍ بعد ستين حجةً أرى فيه لبْسًا والتخوّف في اللّبسِ

ذنوبيَ تنمي كلّ يومٍ تكسَباً فيومي بها في اليوم أثقلُ من أمسي

ألا آمن الرحمن خوفي بعفـــوهِ فإني من نفسي أخافُ على نفسي

ولأن الشباب مرحلة القوة والفتوة والإقبال على الملذات بكل شراهة،(فإن الشيخوخة مرحلة الضعف والتسيلم والتفكير والتأمل وتلبية النزعة الروحانية في طبيعة الإنسان) (٢٤) ومن هذا المنطلق نقرأ لابن حمديس قوله في خطابه لابن عمته: (٢٥)(من الوافر)

فرغتُ من الشبــاب فلستُ أرنــو إلى لهوٍ، فيشغــلني الرحيقُ
ولا أنـا فــي صقليةٍ غــــــلاما فتلـزمني لكلِّ هـــــوى حقوقُ
ليـاليَ تُعْمِـلُ الأفراح كــأسي فمـا لي غير ريـقِ الكأس ريقُ
تجنبْتُ الغوايــةَ عن رشــادٍ كما يَتَجَنّــبُ الكذِبَ الصـــدوقُ
وإن كانت صباباتُ التّــصابي تلـومُ لها على كلمي بـــــروقُ
كتبتٌ إليـك في سـتين عامــا فســاحًا في خطايَ بهن ضيـــقُ
ومن يرحلْ إلى السبعين عامـــا فمعـترك المنـون لـه طريـــقُ

فابن حمديس يسعى جاهدا بعد بلوغه ودنوه من السبعين الى نبذ ملذات الحياة ولهوها، ويعلن تجنبه الغواية والانكباب على متع الحياة التي كانت يزينها له شبابه، مع أن طريق الغواية يلوح له ويعرض نفسه أمامه إلا أنه آثر التوبة،والعزوف عن اتباع هذا الطريق رغبة من نفسه أولاً (عن رشاد) ، ولأنه انتقل إلى مرحلة عمرية جديدة ثانيًا ، تحتم عليه أن ينظرفي سلوكياته ويعدلها (فمعترك المنون له طريق) .

ثالثا: دلالات ترتبط بخلاصة التجربة

الحكمة خلاصة تجربة ومعاناة ونظرة إلى الكون والمجتمع والذات، يطلقها صاحبها بكلام موجز دقيق ليعبر عن حقيقة أو رأي أو مبدأ يوجهه إلى الأجيال القادمة للاتعاظ والاعتبار وعادة مانسمع صوت الحكمة عند كثير من الشعراء الذين بلغوا من العمر مبلغا متقدما، يلخصوا فيه تجاربهم الحياتية، ورؤيتهم الخاصة لما يدور حولهم،وفلسفتهم تجاه ما يعرض لهم من معضلات ، ولا شك أن هذا الصوت لا نسمعه إلا من شاعر قد اتصف بوعي ناضج، وإدراك أمور لم يدركها غيره فعبر عنها بلغة أدبية شعرية راقية،فجاءت خلاصة تجاربه ينبوعا ثرا لكل مبتغ للحكمة ، وابن حمديس شاعر قد عركته الحياة،وعاش مرحلتي الشباب والشيب فخاض معترك الملذات في مرحلته الأولى (الشباب)، ولولا تعقله وحكمته لمضى في الانغماس في تلك الملذات في مرحلته العمرية الثانية(الشيب)، ولأن هذه المرحلة- أعني مرحلة الشيب- تمثل انكسارًا بالنسبة لأي شخص يبلغها فإن ابن حمديس قد شعر بهذا الانكسار الذي انعكس بدوره على ذاته فشعرت بالضعف والوهن وأخذت تبحث عمن يأخذ بيدها فلم تجد سوى خالقها سبحانه وتعالى الذي تستمد منه القوة والعون ،لذلك عبر عن تجربته الشخصية هذه ببعض النصوص الشعرية ليتعظ بها من يقرأها ويفيد من تجربته ، فالإنسان مهما طال به العمر ومهما ابتعد عن مولاه فإن مصيره في النهاية إلى خالقه، ومن تعبيرات ابن حمديس في هذا الموضوع بما يشبه الحكمة المستخلصة قوله: (٢٦)(من الطويل)

وكنتُ إذا مرضتُ رجوتُ عيشًا ليالِيَ كنتُ في شرخ الشبابِ

فصرتُ إذا مرضتُ خشيتُ موتًا وقلتُ : قد انقضى عَددُ الحسابِ

فنفسُ الشيخ تضعف كلَّ حينٍ وقوّتـــــهُ على طَرَفِ الذهـــابِ

ولستُ مُصدقا خدع الأمـــــــاني وهل توكى المزاد على السراب(٢٧)

هذا وان لم يأت الشاعر بالجديد في هذا المعنى إلا إن استحضاره لهذه المعاني يعني وعيه بأن مرحلة الشيب مرحلة قريبة من مرحلة الموت فينصح نفسه وغيره بأن لايغتر بخدع الأماني؛ لأن من يصدق ذلك كمن يصدق أن المزاد – القربة- قد توكى على السراب، وهذا كله تضليل وتغرير من الأماني فالقربة لا تربط إلا على ماء ينتفع به أما السراب فليس بماء ، وإن كان يرى كأنه ماء ،وهذه حكمة بالغة صدرت من عقل شاعر صقلته الأيام والتجارب.

وفي حكمة بالغة أخرى نرى الشاعر يرفض تخضيب شعره وإطفاء مشيبه بالسواد الحالك فنسمعه يقول: (٢٨)(من الخفيف)

خَلِّ شيبي فلستُ أدْمِلُ جُرْحًا بخضابٍ منه فَيَنْغَرَ جُرْحي

وإذا ما خسرت يومًا من العمر فهيهاتَ أن يُرَدّ بربـــح

عيبُ شَيْب يجلوه عَيْبُ خِضَابٍ إنّ هذا كذلك قَبْحٌ بقُبْح

صبغةُ الله لستُ أستُرُ منها بيدي في القذال قُبحًا بقبح

إن الشاعر هنا يقر بحقيقة سلمته للرضا بالواقع (صبغة الله لست أستر منها) ، فإن كان الشيب يعد قبحا في نظره فهذا لا يعني أن يسعي لإخفائه وستره بالتخضب فمن يفعل ذلك هو شبيه بمن ينكأ جرحا بجرح.

فما أجمل الشيء حينما يكون على حقيقته ولكن حينما يدخل هذه الحقيقة الزيف فإنها تغدو مثارا للخداع الذاتي والغيري وهذا ما يرفضه الشاعر كما رفضها من قبل الشاعر ابن الرومي في قوله: (٢٩)

ليس يجدي الخضابُ شيئًا من النَّفـ ـع سوى أنه حدادٌ كئيبُ

ومن تأكيدات الشاعر ابن حمديس لهذا المعنى قوله في بيت أخر: (٣٠) (من الرمل)

وخضابُ الشيب لا أقبله إنّه في شَعَري شاهدُ زورْ

وهكذا غدت أبيات ابن حمديس حكما منثورة نثرها في أبياته ليفيد منها كل من سيمر بمرحلته هذه .

رابعا: دلالات ترتبط بحكاية الشيب والشباب

ولهذه الثنائية موقعها من القصص والحكايات، فالشاعر يكثر من الحديث عنها ويسرد لنا حكاياته معها ، فيمضي وكأنه يسجل اعترافاته حول أيام الشباب وذكرياته في ذلك الزمن الذي يحن إليه ويموج حرقة لفراقـــه بعد أن غادره وحل المشيب محله، ولا غرابة في ذلك فـ(العيش كل العيش في مرحلة الشباب حيث التمتع بمباهج الحياة فإذا ترحل الشباب وطويت صفحاته ، طويت معه صحائف اللذة والمتعة ، والمرء عامة والشاعر على وجه الخصوص كثيرا ما تهيجه الذكرى ، ويعاوده الحنين إلى اللهو، فيرسل القوافي النادبـــة) (٣١)

ومن هذا المنطلق نقرأ لابن حمديس قوله : (٣٢) (من الرمل)

حبذا فتيانُ صدْقٍ أعرســـوا ... بعذارى من سُلافاتِ الخمـــــورْ

عَرْبَدَ الصحوُ عليهمْ بـــالأسى ... فاتَّقاه السُّكْرُ عنهم بالسرور

عَمَرُوا ربعَ الصِّبَا من قبل أنْ ... يتمشّى فيه بالشيب دُثُـــور

إنّ للأعمار أعـــــــجازًا إذا ... بُلِغتْ لم تُثْنَ منهن صُـــــدور

كلُّ نافي العمر، في شِرّتِـهِ ... للصِّبَا نارٌ ، وفي الوَجْنَةِ نـــور

يقتنون العيشَ من قانيةٍ ... ذاتِ عمر كثرت فيها الدهـــور

أطلع الساقي عشـــاءً منهمُ ... أنجمَ الكاساتِ في أيدي البـدور

عدِّ بالأكواب عنّي إنّ لي | في يد الآنسِ عنهنّ نُفور
غَمَرَ الشيبُ الدجى من لمتي | بنجوم طُلّعٍ ليستْ تغور
لانشورٌ لشبابي بعد ما | ماتَ من عمري إلى يوم النشور
وخضابُ الشيب لا أقبله | إنّه في شَعَري شاهدُ زور
أنا مِنْ وَجْدي بأيام الصِّبا | أذرفُ الدمع رواحًا وبكور
فكأنّي ذو غليلٍ تلتظي | لوعةٌ منه إلى ماءِ الثغور
أَصِفُ الراحَ ولا أشْرَبُها | وهي بالشّدْوِ على الشَّرْبِ تدور

وهكذا يمضي الشاعر في سرد حكاية الشيب والشباب ، ففي فترة الشباب كان يقضي مع صحبه أياما ماتعات – كما يراها- يشربون الخمر،ويعربدون سكرا وطربا، عمروا ربع الصبا لهوا وغفلا ، يبحثون عن السلوى من هموم الحياة المثقلة في لذة عابرة ، ورشفة خمر آثمة،يرتجون من ورائها السرور، غير أن هذا السرور كان آنيا انتهى بمجرد أن غزا الشيب رأس شاعرنا فأفاق على لوعة الكبر وفراق أيام الصبا والشباب التي لايمكن لها أن تعود مرة أخرى فللأعمار أعجاز إذا (بلغت لم تثن منهن صدور)، ومع ذلك يبقى لهذه المرحلة العمرية لذتها عند الشاعر وصحبه ، بل ولكل من كان في تلك المرحلة:

كل نافي العمر، في شرته | للصبا نار، وفي الوجنة نور

....

أنا من وجدي بأيام الصبا　　　أذرف الدمع رواحا وبكـــــور

فكـأني ذو غليل تلتظى　　　لوعة منه إلى ماء الثغــــور

أصف الراح ولا أشربـــــها　　　وهي بالشدو على الشرب تدور

وأرى أن هذه الأبيات هي لب القصيد عند الشاعر، فالنص يتمحور حول التحسر على الأيام الخوالي والشباب الدارس بما فيه من حكايات ومغامرات، بينما في مشيبه لايستطيع شرب الخمرة كما في السابق ولا يملك إلا أن يصف الراح وهي تدور على شاربيها دون أن يتذوقها معهم . وما ذلك إلا لشعوره بأن شرب الراح مرتبط بمرحلة الشباب وليس للمشيب مكان فيها .

وفي موضع أخر نراه يمر وهو في مشيبه على مجلس شرب جمع بعضا من ندماء العصر، رآهم وهم يتعاقرون الخمرة في لذة ونشوة ويترنحون بين الكأس والغناء فيغدوا بينهم والحنين يشده إلى العودة إلى الشرب مرة أخرى، فيقول: (٣٣) (من الكامل)

ياربّ مجلس لـذّةٍ شاهَدتُـــــها　　　كَرْهًا ، وجُنْـحُ الليلِ مدّ جناحَا

جَمَعَ الشبابُ بـه بنيهِ ، وبينهم　　　شيخٌ غَـدا شيبٌ عليه وراحا

وكأنّه في كلّ داجـي شـــــعرةٍ　　　في الرأس منـهُ مُوقِـدٌ مصباحا

أمسيتُ مفطوما عن الكأس التي يتراضعُ الندماءُ منها راحا

إلاّ شميمًا كان هَمَّا سُكْرُهُ وغناؤهُ في مسمعيّ نياحا

جُرْنَا على زمن الصبا الزاهي الذي عَزَلَ الهمومَ وملّكَ الأفراحا

أبناءُ عصرٍ فَتّقُوا من بينهم مِسْكَ الشّبيبَةِ بالمدامِ ففاحا

جعلوا حُداءَهُمُ السماعَ وأوجفوا بَدَلَ القَلائِصِ بينهم أقداحا

وكأنّما نَبَضَتْ لهم أفواههم بالشرب من أجسامِها أرواحا

حتى إذا اصطبحوا فررتُ فلم يجد للشيب بينهم الصباحُ صباحا

ما لي أُكافحُ قِرْنَ كأسٍ جالَ في ميدان نشوته وجال كفاحا

ومجدَّلٌ شاكي السّلاحِ من الصِّبا من لم يُبَق له المشيبُ سِلاحا

إنها حكاية ذلك الشيخ/ الشاعر الذي أكره على مشاهدة مجلس اللذة في جنح الظلام، وقد جمع ذلك المجلس فتية في أوج شبابهم ، وكان الشيخ بينهم وقد غدت كل شعرة بيضاء في رأسه مصباحا لكل داجٍ منه وذلك من شدة وضوح وظهور ذلك الشيب الذي زرع في نفس الشيخ الترفع عن مشاركته لهؤلاء الفتية في التعاطي والشرب مثلهم، فأمسى مفطوما عن الكأس التي يتراضعها الندماء إلا ماكان من رائحتها التي أصابته بالهم حين تمكنت منه ، (وغناؤه في مسمعي نياحا) وغناء ذلك المجلس الذي شبهه بالنواح، وفي هذا دلالة على

كره الشيخ/ الشاعر لمجالس الشرب وما يحدث فيها من مخالفات شرعية ،وهذا تحول واضح ألم بالشاعر جراء التحول الزمني الذي صاحبه من الشباب إلى المشيب.

وفي لغة الحكاية يمضي الشاعر في سرد تفاصيل المجلس الذي شهده من عربدة هؤلاء الفتية، ومن اتخاذهم الغناء ملاذا لهم إذ أخذوا يتراقصون ويتمايلون والأقداح بأيديهم، مكثوا هكذا إلى أن أصبح عليهم الصباح فاعتنق شيب الشاعر ببياض الصبح فغدا كل في طريقه.

ويتعجب الشاعر من نفسه كيف لها أن تقاوم ذلك الكأس وقد كانت في صباه تقاتل من أجله، ويجيب الشاعر على سؤاله بأن المشيب لم يبق له سلاحا يقاتل به.

خامسا: دلالات ترتبط بعامل الهموم والأحزان

لاينكر أحد أن للهموم والأحزان دورا في تكثيف مشاعر الأسى لدى الإنسان ومن ثم الإحساس بالثقل الجسدي والمعنوي الذي ينجم عنهما الشعور بتقدم العمر، وقد تظهر الشعيرات البيضاء في مفرق الشاب دلالة على كثرة هموم ذلك الشاب، فكم من مرة رأينا أشخاصا في مقتبل شبابهم وقد هالت علي رؤسهم تلك الشعيرات البيضاء وما ذلك إلا – في الغالب – لتجرعهم كؤوس الهموم والأحزان، وقد أشار ابن حمديس إلى هذا الأمر وإلى دور الهموم والأحزان في إثارة الشيب وحلوله المبكر على رأسه مع صغر سنه، فمن ذلك قوله في معرض حديثه عن فراق الأحبة الذي أوجعه بعد أن وقف على أطلالهم ووجدها خالية منهم: (٣٤) (من الخفيف)

أنبتَ الدّهرُ في المفارق شيبا بهموم في مضمر القلب يزرعُ

فزراعة الهموم في قلب شاعرنا أنبتت الشيب في مفارقه.

وفي رؤية أخرى يرى ابن حمديس أن عامل التغرب والتنائي عن الوطن والأهل هو السبب الأقوى في اندلاع الشيب في رأس الإنسان فيقول:(٣٥) (من الطويل)

وما شبَّبَ الإنسانَ مثلُ تَغَرّبٍ يَمُرّ عليه اليومُ منه كَعامِ

وهل رحتُ إلا طالبًا بالنوى عُلًى كأنّي منها للنجوم مُسامِ

فهو يرى أن الغربة قد ألبسته ثياب الكبر والتقدم في العمر، فاليوم للمغترب كالعام يمر عليه بكل ثقل وطول ، وبذلك يعلل الشاعر سبب مشيبه المبكر، و إن كانت غربته قد كانت من أجل طلب العلى وبلوغ المجدإلا أنها لم ترحمه فتتركه يتمتع بشبابه ويسعد بتحقيق أهدافه وآماله، إذ جادت عليه بهذه الشعيرات البيضاء.

وبسبب فقده لوالده ولهول المصاب عليه نجد أن البياض قد أصاب لمته فقال: (٣٦) (من المتقارب)

أتـاني بدار النّوى نعيه   فياروعة السمع بالداهيه

فحمَّرَ ما ابيضّ من عبرتي   وبيّض لمتي الداجـيه

بدار اغتراب كأن الحياة   لذكر الغريب بـها ناسيه

فاجتمعت عليه الغربة وفقد الوالد فابيض شعره من الأمر الجلل واشتعل رأسه شيبا.

وهكذا يتبين لنا مما سقناه من شواهد سابقة للشاعر ابن حمديس فيما يخص ثنائية الشيب والشباب أن لهذه الثنائية أثرًا واضحا في شعره ، إذ ترجمت أحاسيس هذا الشاعر وكشفت عن رؤيته لهاتين المرحلتين ،وهذه الرؤية وإن كانت متشابهة – في أغلبها- مع عدد من الشعراء السابقين له إلا أننا لايمكن أن نخفي انعكاس هذه الثنائية على نفسية الشاعر وتأثره الفعلي بها مثله مثل غيره من الشعراء

المبحث الثاني

(وقفة على عتبة الزمن)

النّص: (من البسيط) (٣٦)

١. لَوْ أنّ رَبْعَ شَبابي غيرُ مُنْدَرِسِ — مَا بتّ أُوحشُ من جوْرِ المهَا الْأُنُسِ

٢. مِن كلّ رَوْضةِ حُسْنٍ زَهْرُهَا أرِجٌ — تُهْدِي الْهَوى ليَ فِي لحظٍ وَفِي أَنَسِ

٣. لَمّا تَظَلّمَ من أَطرافِها عَنَمٌ — فاسحلِ أقحوانِ الظَّلْمِ وَاللَعْسِ

٤. تديرُ بالسّحْرِ عَيْنَي أمّ شَادِنَةٍ — بفَاتِرِ اللّحظِ للألبَابِ مُخْتَلِسِ

٥. وَمَا رأيتُ مهاةً قبلها وُصِفتْ — فِي السّرب بالشمَم المعشُوقِ لا الْخَنَس

٦. لَهَا مَحاسنُ، مِن غبنِ الشَّباب غدت — محاسِنُ الغيدِ مِنْها وَهِيَ كالدَّلَسِ

٧. تُصبي الحَليمَ وتَسْبيهِ فَمُبْصِرِهَا — كمنتشٍ فِي خَبَالِ السّكْرِ مُنْغَمِس

٨. شَمسُ شموسَ عن الشّيب الذي جمحت — عَنْهُ، وَذاتُ عنانٍ للصبا سِلَسِ

٩. إنّي لأعْجبُ، وَالآرام مُجْبنَةَ — من رِئمِ خِدْرٍ لليثِ الْغيلِ مُفترسِ

١٠. لاَح القتيرُ فأقمارُ الْبرَاقعِ لَمْ — تَطْلُعْ علَيّ وقُضْبُ الْبَانِ لَمْ تمسِ

١١. حتَّى كأنَّ بَياضَ الشَّيبِ منتقلٌ — إِلَى سَوادِ عُيُونِ الْخُرّدِ الأنسِ

١٢. إِنْ فَاتنِي قَنَصُ الغزلان نَافرةً — فَقَدْ ترى من خيُول الْهمِّ ما فرسي

١٣. كَم أشهبٍ صَادَ غزلاَن الصّوارِ فَمَا — لأَشْهِبِي رَاسخُ الأَرسَاغِ فِي دَهَسِ

١٤. سِتّ وَسِتونَ عاماً كيْفَ تُدركبي — مَن عُمْرُهَا ينْتهِي منها إلى السُّدس

١٥. للهِ دَرّ شَبابٍ لستُ ناسِيَهُ — لو أنَّهُ كان إنساناً لقلتُ نَسي

١٦. يَسْقِي محَاسنَ ذاتِ الربعِ مُعْطِشُها سَحّاً بكلّ ضَحُوكِ الْبرقِ منبجس

١٧. وَدَاخِلاَتٍ علَى الظّلماءِ سَبْسَبَها بكلِ خِرْقٍ عريقٍ فِي العُلَى نَدِسِ

١٨. كأَنَّها وَهِي تَرمِي الْمقفراتِ بِهِمْ مِنَ الْوجيفِ نبالٌ، وَالهزَالِ قِسِي

١٩. مثلُ الحَواجبِ لاذتْ وَهِيَ ظَامِئَةٌ بأَعينٍ بالفلا مطموسةٍ درُسِ

٢٠. لاَ يُحْبسَنُ الْمَاءُ إلاَّ فِي ثمَائلِها تيهاً فتحرس نقطاً بالكبود حسِي

٢١. مِن كلّ دَامِيَةِ الأَخفافِ مرْقلةٍ ترتاعُ من صَوْتِ حَادٍ خَلْفها شرسِ

٢٢. مستوحشٍ من كَلاَمِ الإنسِ تُؤْنِسُهُ من جُوَّعٍ من ذئابِ المهمه الطُّلُسِ

٢٣. مَاذا تقولُ ولجّ البَحر يسحبهى إنَّ السَّفينَةَ لاَ تجرِي علَى الْيَبسِ

٢٤. قفْ بالتَّفكيرِ يَا هَذَا علَى زَمنٍ جمّ الخطوبِ ومثّلْ صَرْفَه وَقِسِ

٢٥. ولاَ تَكُنْ عندَهُ للسّلم مُلتمِساً فَالأَريُ فِي فمٍّ صل غيرُ مُلْتمَس

٢٦. إنّ الْفتَى فِي يَديْهِ الْمَالُ عَارِيَةٌ كَالثَّوبِ عُرّي مِنْه غَيْرَهُ وكُسي

٢٧. وَإنه ليُنمِّيه وَيُودِعُهُ مِن الصّبَابَة بَيْن الْحِرْصِ وَالحَرَسِ

٢٨. إن الهَوَا لمحيطٌ بالنّفوس فقُلْ هَل حظّها مِنْه غيرُ الفوْتِ بِالنفَسِ

٢٩. إنِّي امْرؤٌ وَطباعُ الحقِّ تعْضُدُني مُطهَّرُ الْعِرْضِ لاَ أَدْنُو مِنَ الدّنسِ

٣٠. أَلِفَتْ حُسْنُ سكوتٍ لا أُعَابُ بِهِ وَلِي بيَانُ مقَالٍ غيْرِ مُلْتبَسِ

٣١. فَمَا أُحرِّكُ فِي فكّيّ عَنْ غَضَبٍ لسَانَ مُنْتَهِشِ الأَعْرَاضِ منتهسِ

٣٢. قَدْ يعقِلُ الْعَاقِلُ النّحريرُ مَنْطقَهُ وَرُبّ نُطْقٍ غدَاف الْغيِّ كالخرسِ

٣٣. وَالْجَهْلُ فِي شِيمةِ الإنسان أَقتلُ من تخلخل النّبْضِ في بُحْرانِ مُنْتَقِس(٣٧)

جاء النّص في شكله العام وبنائه المتكامل مكونا من خمسة أقسام:

- القسم الأولى: مطلع النص، ويظهر فيه سبب نشوء النص، ونواته التي تشكلت منه، ويقع في بيت واحد وهو البيت الأول.
- القسم الثاني: وفيها صورة شعرية مكثفة تحكي جمالاً بشريا ممزوجًا بجمال الطبيعة/ المكان، وذلك في الأبيات(٢ – ٩)
- القسم الثالث: الحدث الذي يعكس جانب الأثر، وقد كشف هذا الجزء من النص فعل التغير والتحول الذي أصاب الشاعر ونقله من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة الشباب والفتوة إلى مرحلة المشيب والضعف مرورا بشريط الذكريات وخطوط الزمن الماضي السعيد، ويقع ذلك في الأبيات (١٠ – ١٦)
- القسم الرابع: وصف للرحلة والرحلة تظهر في الأبيات من (١٧ – ٢٣)
- القسم الخامس: خاتمة النص، وهو يمثل لحظة التعقل والعودة إلى الحاضر والرضا بالقضاء والقدر (٢٤ – ٣٣)

لقد استهل الشاعر بناء قصيدته بقوله: (لو أن ربع شبابي غير مندرس) ، وهذ استهلال يعكس الشعور الذي يضج في أعماق الشاعر، وبدأه ب "لو" حرف الامتناع لامتناع ليبين لنا أنه لولا أن شبابه لم يتحول إلى الكبر والمشيب لما وجد نفورًا من النساء اللاتي كنى عنهن بـ(المها الأنس) وهذه مشكلة الشاعر التي من أجلها نظم قصيدته هذه، فالشاعر يجد معاناة في صيد الغواني وفي الاستئناس بهن، بل صار

يجد وحشة وصدا وظلما منهن وكل ذلك بسبب اشتعال فتيل المشيب في رأسه.

ولأن للمها الأنس مكانتها في نفس الشاعر نجده يمضي في وصفها فيمزج بينها وبين المكان الطبيعة ،فكل مافي الروض من حسن وجمال وبهاء وزهر أرج ما هو إلا جزء من نسمات الحبيبة أهداه له الروض لينعش الهوى في نفسه بعد الوقوع في شباك لحاظها وهكذا يمضي الشاعر في وصف المرأة التي شغلت عقله وملكت قلبه بأوصاف طالما تغنى بها الشاعرالعربي القديم، فأطراف أصابعها مخضب بالحناء، وأسنانها ذات بريق لامع، فاتنة ساحرة ، تسحر الرائي بفاتر لحظها وتسرق لبه، ليس لها في الجمال شبيه (وما رأيت مهاة قبلها..) في جمال أنفها وارتفاعه، لها من المحاسن ما لو قورنت بمحاسن الغيد من حولها لفاقتهن إشراقة وبياضا ونصاعة، محاسن تصبي الحليم وتأسره، ومن رآها وأبصر جمالها فقد يفقد عقله كمن وقع في خبال السكر منغمسا فيه فانتشى طربا ولذعة كيف لا ؟ وهي شمس الشموس – كما يراها الشاعر- غير أنها اتخذت من مسار الشمس وعلوها مكانا لها فجمحت عن الشاعر وترفعت عنه فرارا منه ومن شيبه مما نغص عليه حياته وزاد حنقه على الشيب، ولنلحظ جملة " جمحت عنه " ففيها يظهر عزوف الحبيبة وتكبرها ونفورها من الشاعر الأشيب ،وهذا وصف حركي بارع من الشاعر الذي أراد أن يعبر به عن المعاني السابقة فكانت هذه الجملة" جمحت عنه".

ويتعجب الشاعر من النساء اللواتي يشبههن بالآرام في صفة الجبن كيف يخضعن ويقعن أسيرات في حبال الأسود المفترسة (الرجال) ، والشاعر هنا – فيما أرى – يبطن تعجبه من حال هذه الحبيبة التي نفرت منه مع أنه أغرقها بكلام الحب والهوى كيف أنها لم تخضع له وغيرها من النساء يخضعن للكلام المعسول من الرجال غير الصادقين الذين عبر عنهم بالأسود المفترسة وهو بعيد عن هذا الصفة الذميمة، لأنه يحبها بصدق، ولاينوي التلاعب بها.

وبالتأمل يجد الشاعر أن آفة المشيب هي التي حطمت أحلامه وبنت الأسوار والحواجز بينه وبين مبتغاه، وهنا في البيت العاشر يتخلص الشاعرمن الغزل بالحبيبة والتشبيب بالحبيبة وينتقل إلى موضوع قصيدته وهو آفة الشيب وفقدان الحرية في التمتع بالحسنوات:

لام القتير فأقمار البراقع لم تطلع علي وقضب البان لم تمس

نعم لاح القتير وهو أول مايظهر من الشيب على الشاعر فلم يعد يجد فتاة تنظر إليه ، أوترغب في الإقبال عليه وكأن بياض الشيب قد انتقل إلى سواد عيون الخرد الأنس (النساء) فلم يعدن يرينه أو يبصرنه.

ويشيرالشاعر إلى أن فواته قنص الغزلان/ النساء الحسنوات قد جلب له خيول الهم التي أسهمت في قتله ودكه دكا ، وما فوته ذلك القنص إلا ما ظهر من مفرقه من شعيرات بيضاء أكدت بلوغه مبلغ

الكبر فنفرت منه الحسنوات ، إنها أزمة عان منها الشاعر وهزيمة معنوية ضربت به وبمشاعره مما أثقلته بالهموم التي شبهها هذه بالخيل التي تقتل من يقع تحتها ، وفي البيت نكتة لطيفة ورابط نفسي كشف عن وطأة الشيب الثقيلة على الشاعر، فهناك محاولة لربط الذات بالفرس الأشهب إذ نجد الشاعر يستحضر الفرس الأشهب ليعقد تشابها بينهما بجامع مخالطة البياض بالسواد في شعر الرأس والجسم.

ويتعجب الشاعر من فرسه / ذاته كيف هي راسخة الأرساغ لاتتحرك غير قادرة على صيد هؤلاء الغزلان/ النساء وهناك من الأفراس الشهب التي أستطاعت صيدهن بكل سهولة ويسر!!

ويعلل الشاعر ذلك بأنه قد بلغ من العمر ستا وستين عاما وظبيته التي يريد صيدها في بداية بلوغها، فكيف لمن بلغ هذا المبلغ من العمر أن تنظر إليه مثل هذه الفتاة الصغيرة؟ إنه أمر مستحيل لايمكن أن يتحقق خاصة وأن الضعف قد دب بجسمه والوهن أصاب عظامه، ولأنّ الأبواب قد سدت في وجه شاعرنا فلم يعد يخطي بميل الحسان إليه بسبب عامل التغير الذي طرأ عليه من إحلال المشيب عليه وتقدم العمر به نجده يرطب أيامه بذكريات الماضي إبان شبابه وفتوته علـه يأنس وتستكن عواطفه المتأججة ألما لواقعه الحاضر، فيقول:

لله در شباب لستَ ناسيه لو أنه كان إنسانا لقلت نسي

يسقي محاسن ذات الربع معطشها سحا بكل ضحوك البرق منبجس

وكما أن الغواني جميلات والفتاة التي يبتغيها الشاعر مشرقة وضاءة لصغر سنها ولمحاسنها الفاتنة؛ نرى مرحلة الشباب التي مر بها شاعرنا هي كذلك تحمل مواصفات الحبيبة من الجمال والإشراقة والوضاءة واللدونة،وهذا من ترابط النص وتلاحمه ومن الوحدة الشعورية التي تبنى عليها القصيدة ، فكأن حديث الشاعر عن الغادة الحسناء حديث خفي يبطن وراءه جمال الشباب الذي عاش فترته واستمتع به وتحسر على فقده فهي أيام ومرحلة لا يمكن نسيانها (لله در شباب لست ناسيه) ، وهكذا حال من بلغ به العمر وتقدم حينمايعود بذاكرته للوراء إبان شبابه فإنه لا يكاد ينسى منه شيئا وكأن هذه الأيام واستعادتها تشكل شعلة مضيئة في حياته ، وما أجمل الصورة التي استحضرها الشاعر في قوله" لو كان إنسانا لقلت نسي" أي لو كانت مرحلة الشباب إنسانا لقلت إنه سينسى أيام مرحه وحياته السعيدة بعد تقدمه في العمر وتكالب الهموم عليه ،وبذلك يترفع الشاعر بنفسه عن كل البشر الذين قد يحيط بهم النسيان مع مرور الزمن فهو فوق هؤلاء، لأنّه لم ينس ولايمكن له أن ينسى مرحلة شبابه .

ولأنّ لهذه المرحلة- مرحلة الشباب- سطوتها على الشاعر نراه يسهب في الحديث عنها وأظنه يريد الهروب من واقعه ومن المرحلة التي يعيشها الآن التي فوتته كثيرا مما كان بإمكان أخذه إبان شبابه ، فنراه ينعش أجواءه الحالية بالحديث عن الماضي وعن شبابه الذي كان مكمن القوة وفيه من المحاسن الضاحكة التي تشبه البرق الضحوك المبشر بالمطر الساقي لكل معطش من الناس والأرض والنبات فيقول:

يسقي محاسن ذات الربع معطشها سحا بكل ضحوك البرق منبجس

وفي هذا البيت دلالة واضحة على تنعم ابن حمديس بفترة شبابه وأنه لم يكن له هم فيها غير اللهو والمرح والانكباب على الملذات فلم يلق بالاً لهموم الدنيا ولم يحمل لها شيئا في نفسه فلغته تظهر عظم هذه المرحلة في نفسه وأثرها الماتع في نفسيته، وأظن أن من بلغ مرحلة الشيب سيدرك قول ابن حمديس ويشعر به خاصة من كانت مرحلة شبابه مرحلة كثر فيها التنعم والترفيه.

وبعد أن يتحسر الشاعر على تلك المرحلة ويظهر لنا جمالياتها نراه ينقلنا إلى عالم أخر، هذا العالم هو عالم الرحلة والتنقل في الفيافي والمفاوز وما يحتاجه هذا العالم من ركوبة قوية تستطيع أن تقطع هذه الأمكنة وتتخطى المخاطر التي بها فيقول واصفا ركوبته:

وداخلات على الظلماء سبسبها بكل خرق عريق في العلى ندس

كأنها وهي ترمي المقفرات بهم من الوجيع نبال ، والهزال قسي

مثل الحواجب لاذت وهي ذامئة بأعين بالفلا مطموسة درس

لايحبسن الماء إلا في ثمائلها تيها فتحرس نقطا بالكبود حسي

من كل دامية الأخفاف مرقلة ترتاع من صوت حاد خلفها شرس

مستوحش من كلام الإنس تؤنسهمن جوع من ذئاب المهمه الطلس

ماذا تقول ولج البحر يسحبهإن السفينة لا تجري على اليبس

فالشاعر يصف رحلة برية يمتطي فيها أصحابها خيولا ذات أصل كريم، تعشق العلى ولها فيه ضروب رائعة (بكل خرق عريق في العلى ندس) يخيل لمن يراها وهي مسرعة والمقفرات ترمي بها كأنها نبال، والهزال منها أقواس تلك النبال، بل كأن هذه الهزال حواجب في تقوسها، تراها حائرة تروح وتغدو بحثا عن أعين الماء وما أن تجد عينا إلا وتكون مطموسة الأثر كانت في يوم ما زاخرة بالماء ولكنها الآن آثار دارسة لايمكن الإفادة منها .

لايحبسن الماء إلا في ثمائلها تيها فتحرس نقطا بالكبود حسي

لايوجد بها – أي الركوبة - إلا الماء القليل تحبسه وتحفظه لوقت الحاجة لتحتسي أكبادها وتذوق طعم الحياة .

من كل دامية الأخفاف مرقلة ترتاع من صوت حاد خلفها شرس

مستوحش من كلام الإنس تؤنسه من جوع من ذئاب المهمه الطلس

ماذا تقول ولج البحر يسبه إن السفينة لا تجري على اليبس

تراها مسرعة في خطوها ، مرتاعة من صوت حاد شرس خلفها تحسبه وحشًا يريد أن يفترسها وهذا كله من شدة اجهادها وتعبها وضياعها في هذه الفيافي التي تفتقد لمقومات الحياة ، غير أنها تأنس بأصوات البشر؛ لأنها تعلم أن البشر يشكلون مصدر أمان لها من هجوم الذئاب المفترسة عليها التي تنتشر في هذه المفاوز الخطرة، وسيظل

الخطر محدقا بها ، وأنى لها النجاة وقد سلكت طريقا وعرا تحفه المهالك والردى؟

ماذا تقول ولج البحر يسحبه إن السفينة لا تجري على اليبس

وهذا البيت فيها تقاطع مع بيت أبي العتاهية:(٣٨)

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وهذ التقاطع النصي فيه إشارة إلى اطلاع ابن حمديس على أشعار غيره وإعجابه بشعر المشارقة وبحكمهم المنثورة في أشعارهم وحسن توظيفها في نصوصهم مما يدعم نصه ويؤصل فكرته.

وبالنظر إلى صورة الرحلة السابقة التي ذكرها ابن حمديس مع وصفه للراحلة التي كانت معه في اللوحة الصحراوية المرسومة بألوان المخاوف والمخاطر والشجاعة في تخطي هذه المخاوف وتلك المخاطر والشعور بالوحشة والافتقاد إلى الأنس البشري الذي يحتاج إليه شاعرنا ابن حمديس ، نجد أن هذه اللوحة ما هي إلا صورة عاكسة لحياة الشاعر، فكأن شاعرنا يحكي قصة حياته بما فيها من جمال الشباب وعنفوانه وكبره في تقدم عمره وما يواجهه من البعد البشري الذي يفقده الأنس فيبحث عنه حتى لو كان هذا القرب صوتيا وليس جسديا حتى يتخلص من مخاوفه من ذئاب المشيب والوحدة التي تريد الفتك به وإنهاء حياته.

إن حياة الشاعر تحتاج إلى وقفة صادقة وإلى تأمل عميق كي يخرج لنا خلاصة تجاربه منها، وهذا ما يختم به الشاعر نصه الشعري فيعطينا رحيق تجاربه الحياتية في هذه الأبيات التي تبدأ بقوله:

قف بالتفكر يا هذا على زمن جم الخطوب ومثل صرفه وقس

إلى أخر قصيدته التي يختمها بقولـه:

والجهل في شيمة الإنسان أقتل من تخلخل النبض في بحران منتقس

فالشاعر يدعو نفسه ومتلقيه إلى وقفة تأملية للزمن المحيط به، يفكر ويطيل في تفكيره على هذا الزمن جم الخطوب ، المتلون بألوان التغير والانقلاب ينظر إليه ويمثل ويقيس التجارب بالتجارب ، والأحداث بالأحداث حتى لايخرج صفر اليدين منه بل يخرج منه عالما حكيما يفيد نفسه والأخرين.

كما يدعو بأن لايركن للسلم مع هذا الزمن، وأن لايعطيه الأمان، فمن يسلم بأمن الزمن ويطمئن إليه فإن واقعه يشبه حال من يلتمس العسل في الحية الخبيثة (فالأري في فم صل غير ملتمس) ، وهذا بطبيعة الحال أمر مستحيل لايمكن تصوره أو وقوعه.

وتتوالى حكم الشاعر التي أتحف بها متلقي نصه فيقول: إن المال عارية في يد صاحبه، اليوم عندك وغدا عند غيرك، كالثوب الذي يكسى أجسادا متنوعة، فاليوم أنت تلبسه وغدا غيرك يلبسه غير أن حقيقة

النفس الإنسانية أنها محبة للمال تأخذه لتنميه ثم تودعه حرصا عليه وحفظا من ضياعه:

إن الفتى في يديه المال عارية كالثوب عري منه غيره وكسي

إن الهوا لمحيط بالنفوس فقل هل حظها منه غير الفوت بالنفس

فهذه النفوس جبلت على حب الأهواء والملذات من الأموال وغيرها ،وياليتها تعلم أن حظها من كل هذا هو الفوت بالنفس.

ثم يستعرض الشاعر جملة من صفاته الخلقية التي تنم عن شخصية ذات مروءة وشهامة، وطباع سجية فيقول:

إني امرؤ وطباع الحق تعضدني مطهر العرض لا أدنو من الدنس

ألفت حسن سكوت لا أعاب به ولي بيان مقال غير ملتبس

فما أحرك في فكي عن غضب لسان منتهش الأعراض منتهس

قد يعقل العاقل النحرير منطقه ورب نطق غدا في الغي كالخرس

والجهل في شيمة الإنسان أقتل من تخلخل النبض في بحران منتقس

وبذلك يختم الشاعر نصه بالفخر بنفسه وبوجود صفات يتحلى بها كريمة، وخصال حميدة تعجب كل من يلمسها أو يسمع بها، فهو امرؤ مطبوع على حب الحق، طاهر العرض لايدنو من الدنس، يميل إلى الدعة وإلى الصمت وعدم الإكثار من الكلام ، وليس هذا بمعيب عنده، فإنه إذا أراد الحديث يمتلك ناصية البيان وحسن المنطق، لكنه

يحب أن يطهر حديثه من اللغو وما لا فائدة منه، فلسانه عفيف ليس ببذاء ولا فحاش، ولامنتهش للأعراض، وهذه صفات العاقل النحرير الذي يحفظ منطقه عن كل مايشين، فرب كلمة أردت صاحبها، ورب كلمة خاض بها صاحبها في الغي فغدا كأنه شخص أخرس لم يأت بما يفيد.

ويشير إلى معضلة الجهل فإذا كان الجهل من شيمة الإنسان فإنه سيقتله ويخلخل وضعه بين الناس كتخلخل النبض واضطرابه في الشخص المريض.

وأرى أن لجوء الشاعر إلى ذكر هذه الصفات فيه نوع من الرد غير المباشر على الفتاة التي رفضته وفرت منه لمشيبه فهو رجل يحمل صفات تتمناها كل أنثى، فالعبرة ليست بلون الشعر وتقدم السن وإنما بحسن الخلق، ومن كان يمتلك مثل هذه الصفات فحري أن يقبل عليه الغواني لا أن ينفرن منه حتى لوعلا المشيب رأسه.

وهكذا غدت حكم الشاعر في نهاية نصه كأنها همسات نابضة أراد بثها في الفكر وأعماق المها الأنس (الحبيبة) التي ترفضه، بل إن النص برمته –كما أرى- ماهو إلا همسات من رجل محب، عاشق للغيد الحسناوات وللحياة وقف على أعتاب الزمن وقفة شاعر متأمل، عرك الحياة ، ومر به الزمن وذاق من لذته وحلاوته الكثير، كما ذاق من قوته ومتغيراته الكثير الكثير، فما كان منه إلا أن يقف وقفة حكيمة أمام عتبة الزمن ، وأمام عوارضه المتقلبة ؛ لينثر درره الحكمية التي تظهر جلادة الشاعر ،وصلابته أمام هذه المتغيرات المؤلمة ، وليعلن كبرياء

شاعر عاشق قتل بهجر حسنواته- بسبب تقدم الزمن – لكنه مازال واقفا ينظر لفعل الزمن بعين العقل وأنه أمر محتم لابد منه، وأن العبرة بما قدمه الإنسان خلال مراحله الزمنية لا للون الشعر وخطوط الزمن على الجلد؛ لذلك أرتأيت تصدير النص ب" وقفة على عتبة الزمن" كعنوان له إذ رأيت أنه الأقرب إلى مقصد الشاعر، وقد يجد غيري عنوانا أخر بحسب رؤية كل باحث للنص، وما وقعت عليه ما هو إلا محاولة لمقاربة النص بعنوان مناسب.

التصوير البيانى فى القصيده:

نجد أن هذا النص يغلب عليه الصور البيانية فلا يكاد بيت يخلو من تشبيه أو استعارة أو كنايه فمن أمثلة التشبيه قوله :

لها محاسن، من غبن الشباب غدت محاسن الغيد منها وهي كالدلس

فالشاعر يشبه محاسن الغيد اللواتي يقل جمالهن عن جمال فتاته بالدلس في الظلمة وعدم الإشراقة والإنارة التي تتمتع بهما الصاحبة، وكذلك في قوله:

حتى كأن بياض الشيب منتقل إلى سواد الخرد الأنس

وهنا شبه بياض الشيب بالداء الذي ينتقل إلى العيون فتمنعها من الرؤية، وفي هذا التشبيه دلالة على شعور الشاعر بأزمة الشيب ووقعه عليه وكأنه داء يحجب الرؤية ويشوه العيون.

وفي تشبيه أخر يقول الشاعر :

كأنها وهي ترمي المقفرات بهم من الوجيف نبال ، والهزال قسي

مثل الحواجب لاذت وهي ظامئة بأعين بالفلا مطموسة درس

لقد شبه الخيول السريعة بالنبال، والهزيلة منها بأقواس النبال بجامع السرعة في التشبيه الأول، والتقوس والانحناء في التشبيه الثاني.

كما شبه الهزيلة بالحواجب في انحنائها ونحافتها .

هذا ونجد الشاعر قد استعمل الاستعارات في نصه وتكونت من خلالها الصور البيانية مما ساعد على إثراء النص ونقله من الجمود إلى الحركة، ومن ذلك قول الشاعر :

إني لأعجب، والآرام مجبنة من رئم خدر لليث الغيل مفترس

وصف الآرام بالجبن فغدت كالإنسان الذي يخاف ويجبن من مواجهة العدو، ثم شبه محبوبته برئم الخدر التي كان من المفترض أن تخاف وتجبن كما هو متعارف عليه من بقية الآرام من الإقبال على مكان الأسد (الرجل) الذي هو معروف بافتراسه لمن حوله، فالرجل في جوع دائم للمرأة ،وعندما تقبل عليه بسهولة فإنه سيفترسها لامحالة وينقض عليها كانقضاض الأسد على فريسته.

ومن استعاراته أيضا:

لام القتير فأقمار البراقع لم تطلعْ علي وقضب البان لم تمس

شبه النساء بالأقمار في جمالهن وبقضب البان في جمال أجسامهن على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن أمثلة استعاراته أيضا في نصه السابق ، قوله:

إن فاتنني قنص الغزلان نافرة فقد ترى من خيول الهم ما فرسي

فهنا تشبيه مبني على الاستعارة إذ شبه الغواني الحسان بالغزلان في نفورهن على سبيل الاستعارة المكنية، كما شبه الهم بالخيول في قتلها لمن تدوس عليه.

وقوله كذلك:

يسقي محاسن ذات الربع معطشها سحا بكل ضحوك البرق منبجس

فقد شبه البرق بالإنسان في ضحكه على سبيل الاستعارة المكنية مما أعطى جوا وحركة في البيت، كما أعطى شعورا بالاستبشار بالفرج والري بعد الجدب.

الكنايات:

كما استعمل الشاعر الكناية كمؤثر يشكل صوره البيانية ، ومن أمثلة كناياته قوله:

فما أحرك في فكي عن غضب لسان منتهش الأعـــراض منتهس

في البيت كناية عن حلمه ، وطهارة لسانه وكل ذلك لتلتفت إليه المحبوبة ففيه من الخصال الحميدة ما لاتوجد عند الشباب.

ومن كناياته قولـه:

كم أشهب صاد غزلان الصوار فما لأشهبي راسخ الارساغ في دهس

(فمـا لأشــهبي راسـخ ...) كنايـة عن ضـعفه وقلـة حيلتـه فـي صـيد النساء وما ذلك إلا لكبر سنه .

- **أثر الألفاظ والإيقاع الشعري:**

الألفاظ في النص السابق في مجملها واضحة ، سـهلة ، وهـي ألفـاظ – فيمـا أرى – تميـل إلـى القـاموس الشـعري القـديم ولكـن لـيس ذلـك القاموس الموغل في التعقيد أو الغموض وإنما هي ألفاظ متوسطة بين الأندلسية السهلة والقديم الذي يحتاج أحيانا إلى معجم يفسرها نحو: " اسحل – القتير – فرسي – ثمائلها " .

كما نلاحظ تكرار الشاعر لمفردة الشيب والشباب، فمفردة الشباب تكررت ثلاث مرات، والشيب مرتين مما يعطي بعدا برغبـة الشـاعر فـي استحضار مرحلة الشباب بقوة فـي نصـه واستبعاد مرحلـة الشـيب، وإن كانت واقعة حاضرة، معترف بها من قبله.

أما عن الإيقاع الداخلي للكلمات فيلاحظ شيوع حروف الهمس في نص الشاعر ابن حمديس خاصة حروف السين والشين والتاء، ومعلوم أن حروف الهمس من صفاتها الرقة واللين، وخطاب الشـاعر فـي نصـه كان موجها للمها الأنس اللواتي نفرن منه وابتعدن عنه لعارض مشيبه ، وعند خطاب المرأة لابد أن يتشح الخطاب بالرقـة واللـين ليتناسـب مـع تكوينها الأنثوي، فضلا عن رغبته في الهمس إليها بحزنه لنظرتها غير

المنصفة له ولرجولته ؛لأن شعره قد خضب بالمشيب، كما أخذ يهمس لها عن صفاته الرجولية الأخلاقية التي كان ينبغي أن تلتفت إليها بدلاً من أن تشغل نظرها بلون شعره وتجاعيد بشرته..

وهكذا أصبحت القصيدة همسات في همسات لذلك كان الشاعر موفقا – فيما أرى – في اختياره لهذه الحروف وبسطها على نصه، هذا فضلا عن أن حرف السين من حروف الصفير المهموسة الموحي بالتأزم والانسياب، وإن أوحى ظاهرا بالانشراح فقد ساعد شيوعه في النص على إحداث جرس صوتي ونبرة صوتية جلية ،وقد اختاره الشاعر حرف روي مكسورا لقافيته ليصب إحساسه وهمساته وموسيقاه على أذن المتلقي فينفعل معه ويحس بأحاسيسه وبانكساره - المتشكل في كسر السين- من فعل المها الأنس به.

وبعد.. فهذه محاولة استقراء لأثر ثنائية الشيب والشباب على الشاعر ابن حمديس الصقلي، وقد كان تعاملي مع نصوصه عبر وقفات أحاول استنطاقها واستخراج ما فيها من دلالات تنم عن رؤية الشاعر حول هاتتين المفردتين(الشيب والشباب) والملتصقتين – غالبا- في نصوصه.

وإذا كانت رؤية الشاعر حول هذه الثنائية قد تشابهت إلى حد كبير مع كثير من الشعراء السابقين الذين تناولوها ؛ فإن ذلك لا ينفي البتة انعكاس روح الشاعر وأحاسيسه ونفسيته عليها، ولأنه عاش هذه التجربة فعليا جاءت نصوصه معبرة ، تحمل رؤ يته وفلسفته الخاصة تجاهها في قالب أدبي يدنو من اللغة الشعرية القديمة تارة، ومن اللغة

الحديثة الأندلسية ، السهلة المنسابة تارة أخرى في قالب يعكس وعي الشاعر بعامل الزمن وأثره في التحول والتغيير على الإنسان وعلى الحياة.

وأرى أن وقع الشيب على ابن حمديس كان مؤلما مما جعله يصدر أبياتا تفصح عن هذا الألم مرة، كما لمسناها في أبيات الغزل، ونفور النساء منه ،وأبيات التحسر على فقدان أيام الصبا، ومرة يرضخ له ويستسلم ويعالج نفسه الثكلى بالرضا بالواقع والتسليم لهذه الحقيقة لأنه لامجال لإعادة الزمن ،كما رأيناه في أبيات الزهد، وخلاصة التجارب.

وقد بين نصه المختار في هذا البحث للقراءة مرارة الشاعر وتوجعه لإدبار مرحلة الشباب وإقبال مرحلة الشيب عليه التي بنت أسوارا بينه وبين مبتغاه من التقرب للنساء خاصة صغيرات السن منهن، فجاشت مشاعره وانسابت في لغة جميلة وراقية تنم عن شاعر يطفح بحب الشباب وإن تظاهربالرضا بمرحلة المشيب .

هذا وقد جاءت صوره البيانية تعضد فكرته وتصور عواطفه ليخرج نصه ثرا بإيقعاته وتناغمه.

أسأل الله جلت قدرته أن أكون قد وفقت فيما رمته وهدفت إليه،إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي والتعليقات:

(١) الزمن في الشعر الجاهلي، د. عبد العزيز شحاته، ١٩٩٥ ، ص ١٠٨ .

(٢) المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القسم الثاني ص ٢٨ .

(٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، ص ١١٧ .

(٤) ديوان ابن الرومي ، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م، ج ١ ص.

(٥) ديوان الشافعي، الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة د.مجاهد مصطفى بهجت، ط دار القلم ، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص ١١٣ .

(٦) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ج ٣ ص ٧٦ .

(٧) ديوان أبي العتاهية أشعاره وأخباره، عني بتحقيقها د. شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ص ٣٢ .

(٨) ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه عبدالصاحب عمران الدجيلي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢ م ، ص ١٠٦ .

(٩) ابن حمديس ،هو أبو محمد بن أبي بكر بن حمديس، دخل الأندلس وافدا على المعتد بن عباد فمدحه بأشعاره البديعة ولازمه إلى أن دخل المعتمد السجن، توفي سنة ٥٢٧هـ

انظر ترجمته في : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،لأبي حسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس (ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ -١٩٨٥م) مج١/ ق٤/ص ٣٢٠، والمطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري و د. أحمد أحمد بدوي، مراجعة: د. طه حسين، ط١، القاهرة: وزارة التربية والتعليم ١٩٥٤م، ص ٣٥٤ .

(١٠)شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحيي بن زيد الشياني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤ م ، ص ٢٩

(١١)ديوان ابن حمديس، صححه وقدمه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المقدمة ص ١٥

(١٢) السابق ٥٨

(١٣) السابق ص ٦٣

(١٤) السابق ص ١٦٩ .

(١٥) السابق ص ٢٨٢ .

(١٦) السابق ص ٢٨٤ .

(١٧) ديوان أبي العتاهية ص ٢٨.

(١٨) ديوان يحيي بن الحكم الغزال، جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا،ط١ (١٤١٣هـ ١٩٩٢م) ص٤٥.

(١٩)ديوان ابن حمديس ص ٣٣٩ .

(٢٠)مقدمة ديوان ابن حمديس ص ٢٠ .

(٢١)ديوان ابن حمديس ص ٤٠ .

(٢٢) السابق ص ٢٦٥.

(٢٣)السابق ص ٢٨٦ .

(٢٤)الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، محمد مجيد السعيد ، ط ٢ ، (بيروت: الدار العربية للموسوعات ١٩٨٥ م) ص٢٦٧ .

(٢٥) ديوان ابن حمديس ص ٣٣٣ .

(٢٦)السابق ص ٦٧ .

(٢٧)توكى: وكي الوعاء: ما يشد به رأس القربة، انظر المعجم الوسيط،وكي

(٢٨)ديوان ابن حمديس ، ص ١٠٧ .

(٢٩)ديوان ابن الرومي ، ج١، ص ١٣٩.

(٣٠)ديوان ابن حمديس ، ص ١٩٨

(٣١)الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، د/عبدالرحمن هيبة، تقديم ا.د. محمد السعدي فرهود، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الأسكندرية، ص ٤٥

(٣٢) ديوان اين حمديس ص ١٩٧ .

(٣٣)السابق ص ٨٠ .

(٣٤) السابق ص ٣٠٦ .

(٣٥)السابق ص ٤٣٢ .

(٣٦)السابق ص ٢٨٤ .

(٣٧)عنم : ضرب من الشجر له نور أحمر تشبه به الأصابع المخضبة، ويقال بنان معنم أي مخضوب، انظر لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة عني بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط ٣ (دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مادة عنم ، غبن: الغبن معاطف الجلد، اللسان، مادة غبن، القتير: الشيب، اللسان، مادة قتر، فرسي: الفرس دق العنق، ويعني به القتل، انظر اللسان، مادة فرس،الصوار: القطيع من البقر، اللسان، مادة صوار، د هس: الأرض السهلة يثقل فيها المشي، انظر اللسان، مادة دهس، خرق عريق: كريم أصيل، اللسان مادتي خرق وعرق، ندس: الندس: الفطنة والكيس، والندس الفطن، انظر اللسان، مادة ندس، الوجيف:ضرب من سير الإبل والخيل، انظر اللسان، مادة وجف،

ثمائلها: الثمالة الماء القليل في أي شيء كان، يقال لبقية الماء في الغدران والحفر،اللسان، مادة ثمل، فتحرس: حرس الشيء حفظه، اللسان، مادة حرس، منتهس: نهس الحية: نهشه، انظر اللسان، مادة نهس، البحران: حالة يحدث بها للمريض، انظر اللسان، مادة بحر.

(٣٨)ديوان أبي العتاهية ص ١٩٤.

المصادر والمراجع:

١- ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د.محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

٢- ديوان ابن حمديس، صححه وقدمه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٣- ديوان ابن الرومي ، تحقيق د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م

٤- ديوان أبي العتاهية أشعاره وأخباره، عني بتحقيقها د. شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق.

٥- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه عبدالصاحب عمران الدجيلي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢م .

٦- ديوان الشافعي، الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة د. مجاهد مصطفى بهجت، ط دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٧- ديوان يحيي بن الحكم الغزال، جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١ (١٤١٣هـ ١٩٩٢م) .

٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،لأبي حسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس (ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ -١٩٨٥م).

٩- الزمن في الشعر الجاهلي، د.عبد العزيز شحاته، ١٩٩٥م.
١٠- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحيي بن زيد الشياني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤ م .
١١- شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
١٢- الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، د/عبدالرحمن هيبة، تقديم ا.د. محمد السعدي فرهود، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الأسكندرية.
١٣- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، محمد مجيد السعيد ، ط ٢ ،(بيروت: الدار العربية للموسوعات ١٩٨٥م).
١٤- لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة عني بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط ٣ (دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .
١٥- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري و د. أحمد أحمد بدوي، مراجعة: د.طه حسين، ط١، القاهرة: وزارة التربية والتعليم ١٩٥٤م .

١٦- المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٧- المعجم الوسيط: قام بإخراجه، إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات،وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، وأشرف على طبعه، عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي.

<< >>